مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٢٢٢ ـ ٢٣٠
ISSN: 2222-6583

الابعاد الاقتصادية في الفكر الفلسفي دراسة لنماذج منتخبة

Economic Dimensions in the Philosophical Thought: A Study on Selected Models

م.د.حسين عبد علي اجريدي لفته

م.محمد صالح جسام

جامعة الانبار – كلية الآداب

art.platoo_platoo@uoanbar.edu.iq
economistman55@uoanbar.edu.iq

Abstract

This study examines the economic concepts formulated by philosophers. It discusses the relationship between philosophy and economics and the importance of economics to the mankind. Economics is of a great importance to the human life as it represents a pivotal element in the movement of societies and a means for measuring their developments. The study discusses these issues by going through the visions of such philosophical economists as Karl Marx, Adam Smith, and Antonio Gramsci.

Keywords: philosophers, philosophy, economics, Karl Marx, Adam Smith

المستخلص

يدرس هذا البحث المفاهيم الاقتصادية المطروحة من قبل الفلاسفة . وايضا يناقش العلاقة ما بين الفلسفة والاقتصاد واهميتها للإنسان . ان للاقتصاد اهمية كبيرة للحياة الانسانية . لأنه يشكل المحور الاساسي في سير المجتمعات وقياس تطورها .وقد ناقش البحث هذه الموضوعات عبر المرور على فلاسفة اقتصاديين مثل كارل ماركس وادم سمث وانطونيو غرامشي .

الكلمات المفتاحية : فلسفة، اقتصاد ، الفلاسفة ، ادم سمث ، كارل ماركس.

المقدمة

من هموم الفلسفة الأولى هو السؤال عن أصل الوجود. كيف يكون شكله وما هي حدوده وملامحه؟ للوهلة الأولى يبدو ان للقارئ بساطة هذا السؤال، وقد يصل الامر إلى الظن بانه سؤال لا طائل منه إزاء هذا الوجود الذي هو موجود وقائم بذاته. لكن في الحقيقة تكمن أهمية هذا كميل فطري لمواجهة هذا العالم الذي ارتمينا فيه دون ارادتنا. فليس من المعقول الركون او الانزواء في خانة العدم ما دمنا موجودين في هذا الوجود ولنا موطئ قدم فيه. فالسؤال هنا يطفو الى سطح المعرفة ليستنهض فينا الفضول فنقوم بطرح الأسئلة لتفسير هذا الوجود تفسيراً منطقياً مقنعاً. بالتالي ان الإجابات المقدمة إلينا بشكلها المادي الملموس كظاهرة ماثلة أمامنا يمكننا الشعور بها وتقييمها ، واختبارها وتجربتها ومعرفة حجم النفع الذي تقدمه لنا كبشر، أو الضرر الذي يأتينا منها فنتجنبها مستقبلاً. وقد تكون الإجابات مقدمة إلينا بشكل عقلي. أي انها خاضعة للعقل وخارجة عن حدود المعرفة الحسية والمادية. مثال ذلك التفكير في شؤون الخلق وما خلف هذا العالم من خبايا. لقد بدأ الانسان من طريق السؤال التمييز ما

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٢٢٢ ـ ٢٣٠
ISSN: 2222-6583

بين الخرافة والواقع ، مابين التفاهة والحقيقة، ما بين المنطقي والمعقول وما هو غير منطقي. لقد بذل الفلاسفة جهد تفصيلي تتوافر فيه الدقة والموضوعية والأمانة العلمية، والإخلاص الفكري، مستبعدين بذلك كل الأفكار السابقة، والاحكام المطلقة البعيدة عن الموضوعية العلمية.

الهدف من السؤال هو راحة البشرية، نحن نعلم ان لمجرد السؤال قد يعاني الفرد في دخوله إلى بوابات الحيرة الوجودية. لكن لا مناص من عدم السؤال. فما بعد عذابات السؤال هناك أجوبة مريحة في كل مجالات الحياة. فالفلسفة والفلاسفة اخذوا على عاتقهم التدخل في كل أمور الحياة البشرية. فالفلسفة قديما هي أم العلوم، ولها رأي في كل العلوم وشؤون الحياة العامة من خلال ابداء الآراء في موضوعات حساسة في حياة الافراد، كمفهوم العدالة ، ومفهوم الاخلاق، وحتى شؤون الحكم والقوانين، والدين ، والسياسة والاقتصاد. وقد كان للاقتصاد حصة كبيرة من الرأي الفلسفي. فالاقتصاد هو عمود المجتمعات، وتعتمد عليه الحكومات في تسيير شؤون الافراد. فمن شأن الاقتصاد أن يدمر المجتمعات اذا كان ضعيفاً. فتنهار معه القيم، والمفاهيم الأخلاقية جميعها، وتتسرب قيم جديدة الى المجتمعات الصالحة، تؤثر هذه القيم الجديدة بشكل أساسي على المواطن الصالح، وتغيره الى شكل جديد، منزوع الاخلاق وفاقد للضمير مما ينذر بسقوط الدول وانهيارها تماماً.

نال الاقتصاد نصيبه الكبير من الآراء الفلسفية، بل أنه نال مجمل الآراء التي أفادت هذه البشرية بدءاً من تقسيم العمل ، الى مناقشة موضوعات الملكية، والتجارة ، والصناعات بمختلف أشكالها. وقد جاء هذا الاهتمام الفلسفي في موضوعات الاقتصاد موضوعاته عبر تاريخ الفلسفة. أي منذ ظهور الفلسفة في اليونان بدأت تلك الأفكار تظهر في محاورات افلاطون حين تطرق موضوعات العدل في توزيع الاعمال على المختصين، وتقسيم طبيعة العمل من طريق التمييز بين الماهرين والموهوبين في بعض الاعمال. وقد تطورت هذه الأفكار على ألسنة الكثير من الفلاسفة عبر الزمن وانتقلت إلى مناحي أخرى تناقش موضوعات الهيمنة ، والحرب من طريق الاقتصاد ما بين البلدان الرأسمالية والاشتراكية، ولا زالت هذه الحرب قائمة عبر التنافس في السوق إلى يومنا هذا.

أهمية البحث

ان أهمية البحث هي ذاتها أهمية الاقتصاد بالنسبة الى الافراد. فمهمة الاقتصاد هو نشر الوعي حول موضوعات كيفية العيش تحت سقف المجتمع، وتوجيه أشكال العمل، وتقسيمه من أجل توفير أقصى السبل التي تهدف إلى منفعة البشرية. وأيضا تكمن أهمية هذا البحث في مناقشة آراء الفلاسفة حول الاقتصاد، وقيمة الثروات (البضائع) الطبيعية، والصناعية، والثروات البشرية كالأفكار التي يقوم بتقديمها المفكرين إلينا. وأهم ما ناقشه هؤلاء الفلاسفة هو فكرة المنفعة التي تجلبها البضائع للأفراد، عبر سلسلة من العمليات المنهجية التي تتعلق بموضوعات تقسيم العمل من اجل خلق فضاء للمقايضة والمعاوضة فيما بينهم.

مشكلة البحث

مع الفلسفة لا توجد مشكلات ، فالقضايا بمقدماتها الصحيحة، تنبئنا بنتائج صحيحة. قضية منطقية خاضعة للعقل. قد تحتمل بعض القضايا الفرضيات والتخمينات والتنبؤات، لكنها مع الفلسفة تحمل في طياتها نسب نجاح مقبولة.

ان النقاش الذي يطرحه هذا البحث، هو جدل المعارضة للهيمنة وتغييب العقلية البشرية من طريق تطويقه بالصعوبات وفرض أشكال مختلفة من الصعوبات. وقد أتت الأفكار الفلسفية وعلى لسان المفكرين وهي تدافع عن الانسان، وتحاول إخراجه من مازقه الذي يعيشه. من طريق تعرية الواقع، وازاحة الضباب عن طريقه ، وارشاده نحو ضياء الإنسانية التي ينشدها. هذه الأفكار ستتم مناقشتها في طيات هذا البحث بشكل مختصر وعميق في آن واحد

الرؤية الفلسفية للعالم

اضطلع الفلاسفة بتفسير الظواهر بشكل عام، فالفلاسفة منذ نشوء الفكر أخذوا على عاتقهم التفكير في الوجود ومشكلاته بطريقة أكثر عقلانية ، وتفسير مظاهر الوجود وتصنيفها وتقسيمها الى عدة اقسام وعدة أصناف، وتمييزهم بين ما هو موجود على الأرض ويمكن الإحساس به كشيء مادي ، وبين ما هو خاص في الفكر ، أو بمعنى كل ما يمكن أن نسميه خارج حدود المعرفة البسيطة والادراك الحسي والذي يسمى بالميتافيزيقا. وهذا تحديداً ما اضطلع به الفلاسفة حين أسقطوا الحكمة عن مالكها، واخضعوها الى النظر المنطقي خصوصاً الشك في القدرة على امتلاكها. وهذا ما فعله الاغريق حين" أكدوا على موت الحكيم واستعانوا عنه بالفلاسفة، أصدقاء الحكمة دون ان يمتلكونها بشكل قطعي"(دولوز، جيل، غاتاري، فليكس: ماهي الفلسفة، ص٢٨). فلا يمكن ادعاء الحكمة لمجرد الحكمة، فالفلسفة ترى أن الحكمة (المعرفة) لا يمكن أن تكون قريبة ومتوفرة للأنسان بهذه السهولة فهي ليست قلبية كما يفهمها المتصوفين. و"يقول الكندي في رسائله الفلسفية " إن أعلى الصناعات منزلة وأشرفها مرتبة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة، التي حدها علم الاشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان، لأن غرض الفيلسوف في علمه إحاقة الحق وفي عمله العمل بالحق"(الكندي: الرسائل الفلسفية، ص١).

دور الفلسفة في نقد المفاهيم وابتداعها

يقول جيل دولوز(١٩٢٥–١٩٩٥) في تعريفه للفلسفة بأنها " فن تكوين وابداع المفاهيم"(دولوز،غاتاري: ماهي الفلسفة، ص٢٨). وهذا ما جعل الفلسفة القدرة أن تتدخل في شؤون الناس، ونقد الأفكار المغلوطة التي تسير عليها المجتمعات والحكومات، وقد يصل الامر إلى التدخل الكبير في شؤون الحكم وتغيير مسارات الحكومات، ونقدها وتعديل منهجها، وحتى الثورة عليها وتحطيم أصنامها، وتكسير قيودها، وتهشيم قشورها، وتذليل العصوبات امام الافراد وخلق المفاهيم التي تسهل من حركتهم ، وحمياتهم من بعضهم البعض وفتح أبواب الحرية الحرة أمامهم، وتقليص دائرة

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٢٢٢ ـ ٢٣٠
ISSN: 2222-6583

الخوف وتحديده وتوضيح معالمه وأشكاله في هذا العالم الذي يصفه الفيلسوف (زيجمونت باومان) بأنه عالم الخوف المستمر فهو يقول :" للخوف عيون كثيرة وبوسعه أن يرى الأشياء الخفية"(باومن، زيجمونت: الخوف السائل، ص٢٣). لكن هذا الخوف له خواص كثيرة من ضمنها أنه يحقق المعجزات، وفي بعض الأحيان يصنع بعض الابطال الذي يواجهون المخاطر فهو يؤكد بقوله:" سمعنا حكايات عن أناس جبناء أصبحوا شجعان عندما وجدوا أنفسهم في مواجهة خطر حقيقي. فالخوف يأتي في أفظع صوره عندما يكون متفرقاً ، ومنتشراً ، وغامضاً ، ومشتتاً ، ومتقلباً، وعائماً، من دون عنوان واضح، من دون سبب واضح ، وعندما يستحوذ علينا من دون سبب معقول، وعندما نشعر بالخطر الذي نخافه في كل مكان ، ولا يمكن ان نراه في أي مكان. إن الخوف هو الاسم الذي نسمي به جهلنا بالخطر، وبما يجب فعله لمنع الخطر، وبما يمكن فعله لمنعه وبما لا يمكن فعله، أو بما يمكن فعله لصده اذا لم يكن لنا طاقة بمنعه"(باومن: الخوف السائل،ص٢٤). هذا هو أحد الأمثلة عن ابتداع المفاهيم الي يترسب إلى واقع الفيلسوف من أجل وضع حل جذري لأزمة تمر بها البشرية والخروج منها عبر استحداث مفهوم مضاد يحاول تخليص الفرد من الازمة التي وضع نفسه فيها وتخليصه منها. لذلك يقول كارل ماركس الفيلسوف الاقتصادي الألماني " اصطنع البشر باستمرار حتى الوقت الحاضر تصورات خاطئة عن أنفسهم وعن ماهيتهم وعما يجب أن يكونوه. لقد نظموا علاقاتهم وفقاً لأفكارهم عن الله، والانسان العادي، الخ. ولقد كبرت منتجاتهم وعقولهم هذه حتى هيمنت عليهم، فإذا هم الخالقون ينحنون امام مخلوقاتهم. ألا فلنحررهم اذن من الأوهام والأفكار والعقائد والكائنات الخيالية التي يرزخون تحت نرها. ألا فلنتمرد على حكم من الأفكار. ألا فلنعلم البشر أن يستبدلوا هذه الأوهام بأفكار تقابل ماهية الانسان كما يقول أحدهم، أن يتخذوا منها موقفاً نقدياً كما قول الآخر، وأن ينتزعوها من رؤوسهم كما قول الثالث"(ماركس، كارل، انجلز، فردريك: الأيديولوجيا الألمانية، ص١٩).

ما بين باومان وماركس جدل كبير يدخلنا في نقاش المقارنات فالأول يفترض أن مفهوم الخوف حن يظهر الى السطح ليحدد حركة الانسان وقطع طريقه نحو التقدم إلى الامام. إلا أن مفهوم الخوف هو شعور الانسان بالخوف إزاء موقف معين، فهو بالتالي من خلق الفرد نفسه ، ومن ثم تغلبه عليه عبر خلق مفهوم الشجاعة أو المواجهة، من أجل التخلص من هذا الشعور ، وهذا بالتحديد ما يعبر عنه ماركس بقوله إنتزاع الفكرة المهيمنة على الفرد ، وعدم الرضوخ تحت نيرها ، مما يسهم بخلق فرد جديد قادر على فرض سيطرته على الواقع بكل اشكاله الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية.

أنطونيو كرامشي والهيمنة الفلسفية والاقتصادية

منذ القدم تسعى الفلسفة إلى صناعة القائد الفيلسوف. هذا القائد هو الحكيم الذي استلهم من الفلسفة الرؤى العقلانية، وهو بالتالي يكون الشخص القادر على إدارة دولة المدينة. فقد امتلك ببساطة كل

أدوات المعرفة، السياسية والاقتصادية، والاجتماعية. ويمكنه الإفتاء وإصدار القرارات التي تصب في صالح الدولة والمجتمع والفرد. وحسب رأي أنطونيو كرامشي(١٨٩١-١٩٣٧) فإن هذا الفعل هو انما تعبير عن" الانتقال من عالم المثل الى العالم. إن تكوين طبقة قائدة أي بناء دولة عملية مماثلة لإنتاج رؤية شاملة"(كرامشي، أنطونيو: قضايا المادية التاريخية،ص٨١).

هذا الرأي يمثل نظرة شاملة في انتقال الانسان من أشكال الحياة الوهمية المختلفة، والبدء في إنتاج واقع جديد لا ضبابية فيه. يشبه الامر صناعة طريق واضح المعالم من أجل تحديد المسار واختصار الزمن والجهد على الانسان، وهذا بالتحديد ما يمكن تسميته بالسياسة الفردية لقيادة الواقع والخروج من موقف المتفرج الضعيف، من طريق تهجين الواقع واخضاعه للتربية الإنسانية، وتطويعه بشكل ملائم للحياة، وهذا هو تحديداً ما يمكن أن نسميه صناعة للواقع الاقتصادي الذي من خلاله يمكن تمييز الوجود الإنساني الإنتاجي. وهذا ما يؤكد عليه كرامشي بقوله:" انه من الأفضل أن يصوغ المرء على نحو نقدي واعٍ رؤيته الشاملة الخاصة، فيختار مجالس النشاط الخاص به اعتماداً على مجهوده الذهني، ويساهم مساهمة فعالة في صنع تاريخ العالم فيمسي دليل ذاته رافضاً أن تكون شخصيته بفعل عوامل خارجية"(كرامشي: قضايا المادية التاريخية،ص١٤).

لقد بدأ الانسان البدائي على تركيز نشاطاته البدنية وتوجيهها نحو اعمال أكثر منطقية، ونحو أمور ذات منفعة طويلة الأمد، فبدل قتل الحيوانات وأكلها، بدأ بتربيتها وتدجينها والعمل على تحسين تكاثرها من طريق العناية بها وتوفير الاعلاف المناسبة لها. ثم قرر أن يصنع البيوت والحظائر لكن قبل هذه الصناعة اكتشف ولوحده أهمية الأداة المستخدمة في تقطيع الأشجار ورص الأحجار عبر تقطيعها وتكسيرها. هذا يدل على أن الانسان من طريق الخبرة في العيش يتعلم ويكتسب المهارات اللازمة، ويتعلم استخدام الالة العقلية التي تخفف عليه وطأة الطبيعة، وتقلل من تعرضه للازمات و المجاعة والامراض، وهجوم الحيوانات الخطرة عليه أثناء الاقتناص. هنا بدا الانسان أكثر عقلانية، وهذا انما يعني انه يمتلك في الأساس رؤية فلسفية (فطرية) للأمور تقوده نحو الشروع للعمل على فرض هيمنته على أشكال الحياة المختلفة " وما الانسان وما أهمية نشاطه الرامي إلى صنع نفسه وعيشه لحياته" (كرامشي: قضايا المادية التاريخية،ص٥٤). هذه الهيمنة لها أشكال مختلفة متطورة وتغمرها الصيرورة والتحول من منطق فلسفي إلى آخر ففي بدايتها تبزر كشكل سياسي (سياسة الفرد) في الهيمنة على الواقع، ثم تنتقل إلى مرحلة أكثر خطورة مثل الهيمنة على سبل العيش والسيطرة على الاقتصاد عبر تحديد الملكية ونوع الاعمال التي يمتلكها ، أو يعمل عليها من أجل منفعته الشخصية ، فيتكون عند ما يسمى بالوعي الرأسمالي الرامي إلى خلق فكرة جديدة في حياة الانسان ، وهذه بالتحديد ما يطلق عليها كارل ماركس بالقيمة، وهنا انطلقت فكرة جديدة فلسفية (نشاط عقلي)، من طريق خلق

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٢٢٢ ـ ٢٣٠
ISSN: 2222-6583

رمز للشيء يتحدد عبر قيمته الاستعمالية وهذا تحديداً ما يمكن أن نطلق عليه "فلسفة منهجية واقتصاد سياسي موضوعي"(كارل ماركس: بؤس الفلسفة، ص٧).

كارل ماركس: فكرة القيمة ، فكرة التبادل في الفلسفة

يؤكد كرامشي الفيلسوف والاقتصادي الإيطالي" ينبغي تبديد الوهم الشائع الذي يقول أن الفلسفة مهمة غريبة وشاقة، لمجرد كونها نشاطا ذهنياً متمايزاً تتعاطاه فئة من الاختصاصيين، أو من الفلاسفة المنهجيين المحترفين. والواجب تبيانه أولاً بأول هو أن كل البشر فلاسفة ويكون ذلك بتعريف حدود وملامح الفلسفة العفوية التي يمارسها الجميع وهذه الفلسفة كامنة في اللغة. واللغة مجموعة من المعطيات والمفاهيم المحددة وليست مجرد كلمات لا محتوى نحوي لها. في الحكمة الشعبية والحس السليم، في الدين وبالتالي في مجمل نظام المعتقدات والخرافات ووجهات النظر وأنماط السلوك التي تشملها تسمية الفلكلور"(كرامشي: قضايا المادية التاريخية، ص١٣). وهذا النص يوضح قدرة الانسان على خلق بيئة عمل جديدة من طريق رؤيته الفلسفية لوجوده. فالفلسفة تناقش مجمل أفكار البشرية، إنطلاقاً من القيمة الاستعمالية، الى رأس المال ، وتقسيم العمل ، وتخليص الانسان من البؤس الذي يعيشه خاضعاً لهيمنة الطبيعة. زيادة على ذلك تناقش الفلسفة موضوعات الاقتصاد وقيمة الفكرة ، لكنها لا تتجاوز الحدود عبر فرض قيمة تهدد الوجود الإنساني وتزعزع إيمانه من طريق تفسير الحياة الحقيقية. يدعم كلامنا كارل ماركس برأيه النقدي " لقد جاء وقت تمت فيه مناقشة فكرة الأشياء التي لا تباع انما تنتقل، تعطى ولا تباع، تكتسب ولا تشترى، الفضيلة والحب والقصيدة. والمعرفة والضمير، الخ. وبإختصار انتقل كل شيء إلى التجارة، أنه زمن الفساد العام والرشوة الكلية، او اذا صح تحدثنا بعبارات الاقتصاد السياسي، الزمن الذي يجلب فيه كل شيء أدبي أو جسدي بعد ان أصبح قيمة سوقية ، إلى السوق ليقدر بقيمته الصحيحة"(ماركس: بؤس الفلسفة، ص٦١-٦٢).

يوضح الرأي السابق بالدرجة الأولى قدرة الفلسفة والفيلسوف على مناقشة موضوعات الاقتصاد والأفكار الاقتصادية واستئصال ماهو فاسد فيها من طريق النقد، وتهذيب الرؤى ومناقشتها ، وفضحها ، وتعريتها ، وإزالة الشوائب فيها وجعلها صالحة لتكون في خدمة الإنسانية (فكرة نقية خالصة)، ونقية ومريحة للإنسان ويشعر بأنها عادلة ولا تحاول اقصائه، أو ضياع حقه. فتكون للأشياء أو الأفكار قيمة استعمالية وحسب ماركس في كتابه رأس المال الذي يقول: " لا تتحقق القيمة الاستعمالية إلا من خلال الاستعمال أو الاستهلاك"(ماركس،كارل: رأس المال، ص٥٤). فكل ما يجلب للإنسان الراحة انما يدل على المنفعة ، وايضاً على شعور الفرد بالعدالة ، كما يضيف إليه الشعور بأنه غير مستلب الإرادة ولا يتم استغلاله.

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٢٢٢ ـ ٢٣٠
ISSN: 2222-6583

ثروة المجتمعات :

تمتاز جميع المجتمعات بأشكال مختلفة من الثروات البشرية ، والثقافية، والدينية، وحتى الإرث التاريخي والحضاري يمكن عده ثروة للمجتمعات. وافضل أنواع الثروات هو الثروة الشبابية لكل المجتمعات، العقول المنتجة للافكار، والمصدرة لها. هذه العملية انما تتم وفق توزيع الاحتياجات الضرورية كوسيلة للعيش. تكون هذه الأفكار التي تم انتاجها على شكل بضائع "سواء كانت طبيعية أم صناعية، على أن تكفل معيشة الانسان"(ماركس: بؤس الفلسفة، ص٧). من طريق القيمة الاستعمالية التي تحدد فائدتها بالنسبة للإنسان.

يقول ماركس في كتابه رأس المال "تبرز ثروة المجتمعات التي يسودها الأسلوب الرأسمالي للإنتاج بوصفها تكديساً هائلاً من البضائع، بينما تبرز كل بضاعة على حدة كشكل أولي لهذه الثروة. وان البضاعة هي في بادئ الامر مادة خارجية، شيء يلبي بفضل خصائصه، حاجة من الحاجات البشرية، وطبيعة هذه الحاجات سواء كان مصدرها المعدة ام الخيال. لا تعتبر في الامر شيئاً. كما ان القضية لا تنحصر في كيف يلبي الشيء المعني الحاجة البشرية: بصورة مباشرة كوسيلة للمعيشة أي كمادة للاستعمال، أم بصورة غير مباشرة كوسيلة للإنتاج"(ماركس: راس المال، ص٤٣). ان القصد من هذا الكلام حسب وجهة نظرنا أن هناك أبعاد أخرى أكثر جوهرية في طبيعة هذه المجتمعات. وان ما تلبيه هذه الحاجات ليس عبارة عن قيمة معلقة في الهواء بل هي قيمة علمية منهجية تدل على أن هناك وعياً قائما وراء العرض والطلب لهذه الأشياء والذي يسمه ماركس " بعلم البضائع"(ماركس: رأس المال، ص٥٤).

تقسيم العمل عند آدم سمث وكارل ماركس

تحدثنا سابقاً عن قيمة البضائع، وفق ما تلبيه من منفعة للفرد. وعلاقة البضائع بموضوع العرض والطلب. فكما نعلم ان هذه العملية المنهجية لها أهداف جوهرية ومهمة في تلبية حاجات المجتمعات ، من أجل توفير سبل المعيشة. وتتم هذه العملية وفق مبدأ تعاوني بين الافراد قائم على تقسيم العمل فيما بينهم من أجل توفير الجهد والوقت على بعضهم البعض وهذه الفكرة تقودنا إلى مفهوم فلسفي يسمى بالعدالة.

يناقش ماركس(١٨١٨–١٨٨٣) مفهوم التقسيم بطريقة جدلية في قوله:" في الطبيعة هناك أشياء بكميات ضئيلة، أو لا يوجد على الاطلاق، فإنني اضطر أن أضع يدي في عدد كبير من الأشياء فسأفترح على غيري مساعدتي في مختلف الوظائف، ان يتنازلوا لي عن جزء من منتجاتهم مقابل منتجاتي"(ماركس: بؤس الفلسفة، ص٥٧). يبدو أن كارل ماركس ينتقد هذه الفكرة فليس من المعقول أن تقترح على شخص ما بأن يتنازل عن جزء من منتوجاته ففي الامر مخاطرة بان لا تحصل على جميع المنتجات، ثم من أنا لاقترح على مجموعة غريبة أن تستبدل معي تلك المتوجات التي أحتاجها ؟ وكيف أعرف

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٢٢٢ ـ ٢٣٠
ISSN: 2222-6583

انني انتج ما يحتاجه هؤلاء الناس فلابد من توافر عملية منهجية علمية لتبادل المنفعة بطريقة آمنة وفعالة والخروج من موضع (روبنسن كروزو)، هذا الغريب الذي يفرض على مساعديه تقسيم العمل وهو كائن لا اجتماعي ، بل ينطلق من مفهوم الهيمنة على المجتمع الأقل قدرة على التفكير المنطقي مثل مجتمع الافارقة في الجزيرة التي سقط عليها. وهذا من وجهة نظر ماركس يعد عمل لا عدالة فيه. فالأمر يشبه الشعور عند المجتمع الرأسمالي المضطهد للفئة العمالية. على اعتبار أن الرأسمالي يعتبر قوة، والقوة تفترض على الضعيف دفع الدين. وفي قصة روبنسن كروزو يكون دفع الدين بمثابة سداد فضل الرجل الأبيض على الرجل الأسود.

يرى ماركس ان الامر ليس فيه عدالة. وقد ناقش افلاطون هذه الفكرة قبله في محاورة الجمهورية وعلى لسان استاذه سقراط ومناقشته لكل من تراسيماخوس وبوليمارخوس الذي يعرف العدل بقوله:" أن العدل هو دفع الدين. ويستلم تراسيماخوس المحاورة بعدئذ، ويعرف العدل أنه لا شيء آخر سوى فائدة الأقوى. وينقض سقراط هذا التعريف للعدل، بتعريفه للفنون، وهو أن لكل فن غاية يقف عندها، وهي كمال ذلك الفن. وبما أن العدل فن سام في غايته وكماله، كما كل الفنون الأخرى يجب حسبانه فضيلة وخيراً، ولهذا لا يمكن للعدل أن يكون فائدة الأقوى"(افلاطون:الجمهورية،ص٤٠). هذا يعني ان سقراط يناقش تقسيم العمل كفن فيه فضيلة وصلاح للأفراد، وليس فائدة الأقوى، فحسب الجمهورية الافلاطونية تقسم الناس الى فئات ، كلها تعمل وفق نظام تقسيم العمل الى مزارعين ، وصناع، وجند ، وحكام. كل هؤلاء يقوم بعمله من أجل المصلحة العامة وهو ضروري لبناء الدولة. فالمزارع يعمل من أجل خدمة الجندي والصانع والحاكم وهكذا يقوم الاخرين بخدمة بعضهم البعض. لكن حسب ماركس الذي يقول "لكي نعتبر تقسيم العمل ضرورياً. ولكي نفسر هذه الاحتياجات لابد أن نفترضها، وهذا لا يعني انكارها"(ماركس: بؤس الفلسفة، ص٥٩). ان الافتراض هذا يحمل في صميمه شكل من أشكال الرفض لا الانكار. فالحقيقة يجب على الانسان التعاون من اجل خلق نوع من الاكتفاء، وأيضا من أجل توفير مختلف الاحتياجات لزيادة المنفعة. يدعم كلامنا رأي آدم سمث(١٧٢٣-١٧٩٠) بقوله:" إن تقسيم العمل هذا تفرع عنه العديد من المزايا لم يصدر في الأساس عن أية حكمة إنسانية كانت تتوقع تلك الثروة التي تسبب بها تقسيم العمل ولا كانت تقصدها. بل هو نتيجة ضرورية، وإن كانت بطيئة وتدريجية لميل معين في الطبيعة البشرية لا يتطلع لفوائد موسعة كهذه، إنه الميل إلى المعاوضة، ومقايضة شيء ما لقاء شيء آخر والمبادلة به"(سمث،آدم: ثروة الأمم،ص٢٣). هذا الكلام يؤكد أيضاً على الميل الفطري الى فرض تقسيم العمل بين الناس من أجل خلق أكثر شكل من البضائع، وبالتالي توفير الوقت والجهد مع زيادة المنفعة للإنسان.

الاستنتاجات

- ان الفلسفة أسقطت ملكية الحكمة عند الأشخاص ، بالتالي أصبحت الحكمة هي صديقة الفلاسفة وهم في سعي دائم من أجل الحصول عليها. إلى جانب ذلك نقص المفاهيم الشمولية حول شؤون الوجود ، وأحوال الناس. فأصبحت نسبية المعرفة هي أساسا كل شيء.
- ان الفلسفة هي فن ابتداع وخلق المفهومات، ولها قدرة عجيبة على التدخل في كل مجالات الحياة الإنسانية، السياسية، والاجتماعية ، والاقتصادية، بقدرتها النقدية القممية.
- ان الفلسفة تهدف إلى صناعة القائد الفيلسوف، لأنه يتقرب دائما الى الحكمة، والفلاسفة يرون أن من يتقرب إلى الحكمة هو الاصلح للحكم ، وإدارة شؤون الدولة والمجتمع.
- ان الفلسفة تهدف إلى خلق الشعور الدائم بالمسؤولية والالتزام الأخلاقي للإنسان، من طريق قيادته لنفسه والسيطرة على حياته ، والمساهمة في إدارة شؤون المجتمع الاقتصادية والسياسية ،كمساعد للحكومات.
- نقد فكرة الهيمنة في الاقتصاد والتي بدأت مع كارل ماركس، الذي ناقش موضوعات الاقتصاد من وجهة نظر فلسفية.
- مناقشة مفهوم القيمة ، والقيمة الاستعمالية ، والتي تتحدد من خلال الاستعمال الفردي للبضائع ، مما يعطي انطباع واقعي لحجم النفع الذي تقدمه للفرد.
- مناقشة مفهوم ثروة المجتمعات، الطبيعية ، والصناعية، والفكرية.
- توضيح مفهوم العمل وتقسيمه، وحاجتنا الى تقسيمه، وضرورة افتراض تقسيم العمل مع كارل ماركس، او الميل الطبيعي عند الانسان الى تقسيم مع آدم سمث.

المصادر والمراجع

آدم سمث: ثروة الأمم، ت: حسني زينة، ط١، بغداد، أربيل، بيروت، ٢٠٠٧.

أفلاطون : الجمهورية ، ت: شوقي داوود تمروز، ط١، بيروت ، ١٩٩٤.

أنطونيو غرامشي: قضايا المادية التاريخية ، ت: فواز طرابلسي ، ط١، بيروت، ١٩٧١.

جيل دولوز،فيلكس غاتاري: ماهي الفلسفة، ت: مطاع صفدي، ط١،بيروت، ١٩٩٧.

زيجمونت باومان: الخوف السائل، ت: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٧.

كارل ماركس: بؤس الفلسفة، ت: محمد مستجير مصطفى، ط٤، بيروت، ٢٠١٠.

كارل ماركس: رأس المال، ت: د.فهد كم نقش،ج١، موسكو،١٩٨٥.

كارل ماركس، فردريك انجلز: الأيديولوجيا الألمانية، ت: د. فؤاد أيوب، ط١،دمشق، ١٩٧٦.

الكندي: الرسائل الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة،ط٢،القاهرة ،٢٤١م.